# سياحة حديثة الى جهات اوربة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

## باڤارية والمانية

كان مسيرنا من ڤينّة في مساء الاحد ٢٧ آب قاصدين باڤارية ثم المانية . وكان السفر ليلًا فلم يسمح لنا الظلام بتسريح النظر في الرياض النضرة التي قطعناها وفي وسط الليل بلغنا سلزبورغ اخر مدن النمسة في حدودها الغربيّة وهي واقعة على نهر سلزاخ احد سواعد الطونة والمدينة قاعدة ولاية يأمر عليها دوق توسكانة من اقارب الملك وقد اشتهرت بتولد الموسيقي النابغة موزرت سنة ١٧٥٦ وفيها عدّة آثار تذكّر به كتمثاله في احدى ساحات المدينة والمتحف المشيَّد على اسمه . واما كنيستها الكاتدرائية فقد شُيّدت في القرن السابع عشر على مثال كنيسة مار بطرس في رومية

ثمّ دخلنا باڤارية وسرنا في اقطارها العجيبة الكثيرة المناظر الجميلة المشاهد من بحيرات وغابات ومروج وكنّا نرى عند الصباح جبال التيرول تنتصب على شمالنا وهي قسم من جبال الالب الشهيرة بمحاسنها الطبيعيّة كجبال سويسرة المصاقبة لها

وفي رأد الضحى حططنا عصا الترحال في مونيخ عاصمة باڤارية احدى الدول المتّحدة بالمانية واسمها يدلُّ على انها كانت قديمًا ديرًا للرهبان او من بعض اوقافهم وهي اليوم خمسة اضعاف ما كانت عليه قبل مئة سنة يبلغ عدد اهلها نحو ٣٠٠٠٠٠ وتُعرف مونيخ بآثارها الفنّيّة من ابنية فخيمة وكنائس عظيمة وتماثيل جميلة ومتاحف ثمينة لا سيّما متحفين من التصاوير القديمة والحديثة لكبار المصوّرين قلّما يوجد مثلهما في اوربّة . وفيها المدرسة الكليّة الذائعة الصيت يعلّم فيها مشاهير المدرّسين . واللُّغات الشرقيّة في هذه الكليّة مقامٌ معتبر لشهرة بين اساتذتها الدكتور هومل وكان عند مرورنا في مونيخ غائبًا عنها فلم نحظَ بمشاهدته الّا اننا لقينا في اصحاب مكتبتها مجاملة ولطفًا اوجب ثناءنا عليهم . ومكتبة مونيخ غنيّة باصناف التآليف يبلغ عدد كتبها مئات الوف بينها نيّف و٣٠٠٠٠ كتاب مخطوط وقسم منها في اللغات الساميّة كالعربية والسريانية والعبرانية طُبعت قائمتها . ومن جملة ما اقتنتهُ مكتبة احد مشاهير المستشرقين الفرنسويين دي كاترمار كانت اغنى مكاتب الخواصّ بالتآليف الشرقيّة . واهل مونيخ

كاهل باثارية اجمالًا من الكاثوليك المتحزبين بالدين يسعون في كل الاعمال الشريفة الآيلة لخير الكنيسة وترقي الهيئة الاجتماعية . وقد زرنا يوم الاحد كنائسهم فكانت غاصة بالحضور يلوح التقوى على وجوههم . وكنائسهم بديعة الصنع رائعة المنظر خصوصاً الكنيسة الكاتدرائية على اسم العذراء مبنية على الطرز القوطي في القرن الخامس عشر ولها برجان لم يتم بناؤهما حتى الآن وزرنا ايضاً كنيسة القديس ميخائيل عُني ببنائها احد الرهبان اليسوعيين وبقربها كانت مدرستهم الشهيرة التي هي اليوم مكتب للعلوم . واهل مونيخ يفتخرون بابتداع فن الطبع على الحجر ويصطنعون الجمة الفاخرة التي تُعرف بهم

وفي ٢٣ آب ركبنا القطار الى بلاد ورتمبرغ . فمررنا على اوغسبُرْغ احدى امهات باثارية وهي شهيرة بما جرى فيها من المباحثات بين الكاثوليك واصحاب الاصلاح الارتراني . وكانت الجرائد وقت اجتيازنا تطنب في وصف المؤتمر الحادي والخمسين الذي عقده الكاثوليك الالمان ليس بعيدًا من هناك في مدينة راتسبون وزاد هذه الحفلة رونقاً انَّ جلالة الامبراطور غليوم تلطَّف هذه السنة وارسل تلغرافاً لاعضاء المؤتمر يشكرهم ويمدح مساعيهم في خير وطنهم كما اطرأ البابا بيوس العاشر غيرتهم واتحادهم

وبُعيد الظهر ادركنا مدينة أُولم على ضفَّة الطونة الشرقيَّة وهذه المدينة تعدّ اليوم من بلاد ورتمبرغ بعد ان كانت سابقاً داخلة في بلاد سُواب والوقت لم يسمح لنا بزيارة كنيستها الكاتدرائية من ابدع واوسع كنائس المانية وهي غوثيَّة الطرز ترتقي الى القرن الرابع عشر فاكتفينا بان نملأ الصدور من منظر خارجها اذ كنَّا نرى من نوافذ القطار نقوشها الخارجية وبرجها العجيب واروقتها المدهشة

وفي عصر النهار نزلنا في ستوتغرت قاعدة بلاد ورتمبرغ وهي في بطحاء كثيرة الخصب تحيط بها الحدائق والبحيرات والغابات فتجعلها من اتره مدن اوربة لكنَّ هذه المدن كلها تخيّم فوقها الغيوم فتفقدها كثيراً من بهجتها . فرحّب بنا الكاثوليك الذين فيها واخبرونا انَّ قسمًا من مواطنيهم اجروا الى بيروت فمدن الشام فالقدس الشريف لزيارة الاماكن المقدَّسة . وسرَّنا ما رأينا في ستوتغرت من الحركة والنشاط فانَّ هذه المدينة شهيرة بتجارتها وفيها تصطنع ادوات الرصد الفلكية والآلات الطبيعية وتكثر فيها المنسوجات والاقمشة وفيها سوق رائجة لبيع الكتب كمدينة ليبسيك يعقد فيها الكتبيُّون اجتماعاتهم السنويَّة . ومن خواصّ ستوتغرت حسن هندستها وفي حديقة

البلدة الوسطى تمثال عظيم للامبراطور غليوم الاول راكباً جواده وهو من الشبه المطلي بالذهب اقيم سنة ١٨٨٤

ثم برحنا بلاد ورتبرغ متجهين الى ارخيدوقية باد فقضينا يوماً في عاصمتها كَرْلسروه (Carlsruhe) حيث يقيم الغرندوق فردريك ولهذا الامير قصر عالي البنيان جميل الهندسة واسع الردهات ذو زخرفة ونقوش بديعة وكان الغرندوق واسرتهُ غائبين فامكننا ان نتجوّل في كل انحاء داره الفخيمة فاذا كل شيء فيها يشعر بعارٍ شأن اصحابها مع سذاجة وعدم تكلُّف . اما المدينة فشهورة بصناعتها فيها معامل الحديد الكبيرة تصطنع فيها الآلات البخارية والاسلحة والمدافع وهي قد بُنيت على شكل الروحة رأسها قصر الملك ومنهُ تبتدئ بقية الاحياء على نصف دائرة

وارخيدوقية باد متاخمة لبلاد الالزاس واللورين التي دخلت في حكم المانية بعد سنة ١٨٧٠ فقطعناها من الشرق الى الغرب وزرنا حاضرتها ستراسبورغ وكان دخولنا اليها في ٢٧ آب وقضينا فيها ثلاثة ايام . وهي مدينة حافلة بالسكان كثيرة الآثار فيها ابنية جديرة بالاعتبار اخصُّها كنيستها الكاتدرائية ذات البنيان العجيب والهندسة الرائعة يعلوها برج رفيع ينتهي الى نقطة وهو آية في الزخرفة وحسن الهندام . وفي هذا البرج جُعلت تلك الساعة الغريبة التي تعدّ من طُرف الصنائع وستفرد لها مقالة خصوصية ان شاء الله

وكلية ستراسبورغ من الكليات الممتازة بتعاليمها وشهرة اساتذتها وللعلوم الشرقية فيها فرعٌ خاص يقوم بتدريسها جلُّ المعلمين ممَّن يُعدّ قولهم حجّة من هذا القبيل كالمعلم تاودور نلدكه والمعلم ارتنغ الذي دخل غير مرَّة بوادي العرب طلباً للآثار القديمة من نبطية وغيرها . وبقرب هذه الكليَّة مكتبة عامرة جامعة لاصناف المطبوعات والمخطوطات بينها تآليف سريانيَّة وعبرانيَّة وعربيَّة مكَّننا العمّال من النظر فيها مع انَّ المكتبة وقتئذٍ كانت مقفلة لم يُسمح لاحد الدخول فيها فنشكر لاصحابها لطفهم ومجاملتهم . ومن الكتب العربيَّة الجليلة التي وقفنا عليها هنالك « كتاب تحفة الملوك للشيرازي » . وكتاب « اسرار الطبّ لاسمعيل بن القسم بن محمَّد » يحتوي معجماً غاية في الافادة للموادّ الطبيَّة والنباتيَّة . ونسخة حديثة من كتاب « قوانين الدواوين للوزير شرف الدين ابي المكارم ابن ابي سعيد الشهير بابن

معاني ». وتاريخ « الخبر عن البشر للمقريزي » . وتاريخ « ابن القنية » وهو عزيز الوجود كثير الفوائد . و« تاريخ الاسلام للذهبيّ » . وكتاب « طبقات النحاة لجلال الدين السيوطي » وهو اوسع من طبقات ابن الانباري . وكتاب « صورة الارض من المدن والجبال والبحار والجزائر والانهار لبطليوس استخرجهُ ابو جعفر محمد بن موسى ». وهو كتاب فريدٌ في بابهِ . وكتاب « الايضاح في العربيّة لابي عليّ الفارسيّ » من اعزّ الكتب واقسها . وكتاب التنبيهات على اغلاط الرواة لابي القاسم علي بن حمزة » ينبّه فيهِ على اغلاط التآليف اللغويّة كنوادر ابي زيد ونوادر الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوريّ والكامل للمبرّد وفصيح ثعلب واصلاح المنطق لابن السكيت والمقصور والممدود لابن الوَلّاد . وهناك ايضاً بعض كتب نصرانية منها كتابان قديمان مخطوطان على رقّ الغزال يحتويان تراجم قديسين ومقالات دينيّة وميامر بينها « ميمر الانبا بنّه بن منصور الدمشقي على سياحة السيّدة »

وفي ستراسبورغ يستروح المسافر رائحة فرنسة لما في اهلها حتى الآن من العادات الفرنسويّة في لبسهم ولغتهم واخلاقهم . وقد ودّعنا مدينتهم في صباح ٣٠ من آب ووجهتُنا باريس فبلغناها في عصر النهار

فرنسة وعودتنا

ولا ينتظر منا القارئ ان نصف لهُ تلك العاصمة الكبرى التي لا تقوم بوصفها المجلّدات الضخمة وقد نشر احد ادباء المصريين كتاباً دعاه « الدنيا في باريس » وخصّهُ بوصف معرضها الشهير لكنّ هذا الاسم يطابق المسمّى في كل احوالهِ لانّ الفرنسويين قد احبُّوا ان يجمعوا في حاضرة بلادهم ما يُرى متفرقاً في بقيّة البلاد وعليهِ تجد في تلك العاصمة ما شئت من محاسن فنيّة وآثار صناعيّة وعاديّات تاريخيّة ومتاحف ملكيّة وفئات اديّة ومزارات دينيّة حتّى لو اردت تتبُّع مآثرها مقسّمةً على عدد ايام السنة لما كفاك ذلك . ففي باريس القصور الشهيرة كقصر التويلري وقصر الاليزه وقصر تروكاديرو وقصر فرسايل في ارباض المدينة . وفيها المعاهد العموميّة والمباني الدولية كدار الندوة ومجلس الشيوخ في لوكسمبرغ . وفيها المراسح والملاعب الفسيحة كالاوپرا والهيپودروم . وفيها الاسواق الجامعة لتجارة العالم في صرح واحد كمخازن اللوفر والبون مرشه . وفيها الاعمال الصناعيّة الاثيرة كبرج ايفل وقصر الصنائع . وفيها المكاتب الحافلة بالمطبوعات

والمخطوطات نخص منها بالذكر المكتبة العمومية حيث اشتغلنا سابقاً ثانية اشهر وهناك من الكتب الشرقية عموماً والمخطوطات العربية خصوصاً (وهي نحو ٧٠٠٠) ما يندر وجود مثله الّا في بعض العواصم الكبرى كلندن وبرلين ورومية . وفيها الكنائس العظيمة التي تسترق القلوب بمحاسنها بعضها قديمة ككنيسة السيدة الكاتدرائية وكنيسة « المعبد المقدّس » وكنيسة القديسة جنفياف ( البنتيون ) ومنها حديثة كسيّدة الانتصار التي تراها صباحَ مساء غاصّة بالمتعبدين من اهل كل الطبقات والرتب وكهيكل قلب يسوع على جبل الشهداء (Montmartre) قد أنفق عليه الكاثوليك قريباً من اربعين مليوناً من الفرنكات وهو لم يتمّ بعد . فهذه واشباه كثيرة غيرها لا يمكننا تعدادها فضلاً عن وصفها . وخلاصة القول انّ باريس تُعدّ قطب التمدُّن والعمران ومثوى مشاهير الزمان لولا انها ايضاً محطّ رحال ذوي الفتن يكثر فيها التهتُّك وخرق الآداب واللاهي الباطلة

هذه نبذة وجيزة من اخبار رحلتنا الى جهات اوربة وقد زرنا ايضاً انكلترّة وبلجكة الّا انّ طوافنا في بلاد هاتين الدولتين تمّ على سرعة البرق باقلّ من عشرة ايام قضينا معظمها في مكتبتي المتحف البريطاني ومكتبة الآباء البولنديين في بروكسل فلم يهتمّا كثيراً النظر الى ما سوى ذلك لا سيّما بعد ان كنّا سابقاً اقمنا مدّة في انكلترّة ووصفنا عاصمتها الشهيرة بكثرة سكّانها ووفرة اعمالها وكل اصناف خيراتها . على انا لا نستطيع الّا الثناء على الذين اجتمعنا بهم من افاضل الفرنسيين والانكليز والبلجيكيين وعلمائهم المستشرقين فقد خلّدوا في قلبنا شكرهم لحناوتهم وحسن التفاتهم

ولمّا صار العشر الثاني من ايلول رجعنا أدراجنا الى الوطن العزيز وغادرنا باريس على طريق المانية فبقارية فالنسية فالاستانة العلية وركبنا يوم الاثنين ٢٦ ايلول الباخرة الروسية التي اوصلتنا سالمين الى مرفإ بيروت . الّا أننا في عودتنا هذه مررنا على جبل اتوس فشاهدنا من هيئته ما يأخذ بالابصار وهو عبارة عن رأس داخل في البحر ترتفع جبالهُ عمودياً عن سطح المياه وهذه الجبال قاحلة في الغالب جرداء لا يُرى فيها الّا اديرة كبيرة او مناسك منفردة يعيش فيها نحو عشرة آلاف راهب من رهبان الروم والبلغار والروسيين . والأديرة تنيف على العشرين فيها الآثار الدينيّة القديمة والكنائس على الطرز اليوناني مع خزائن كتبيّة يكثر فيها المخطوطات النادرة باليونانية . وللرهبان دسكرة على البحر فتأتيهم اليها المؤنة بالبواخر . وكانت باخرتنا ناقلة لطعامهم ٣٠٠ كيس من

البطاطا. اما سالونيك فمن اعظم مرافئ الدولة العلية لها تجارة واسعة وعدد اهلها نحو ١٠٠٠٠٠ وهي اوّل مدينة اوربية زارها بولس الرسول واليها وجّه رسالتين من رسائله وكان فيها للرهبان اليسوعيين سابقاً ديرٌ واليوم فيها رهبان من جمعية الآباء اللازاريين يخدمون اهلها بكل غيرة ولهم كنيسة كبيرة جميلة يقيمون فيها الرتب الدينية والإخويّات التقويّة. وعلى مقربة منهم راهبات المحبّة يشتغلنَ في تربية البنات وتهذيبهنَّ ولهنَّ مدارس زاهرة ومستشفى وميتم وغير ذلك مما يرطب ألسنة الجميع بالثناء عليهنَّ. وكذلك لاخوة المدارس المسيحية مدرسة تترقّى كل يوم في سبل النجاح. وكان وصولنا الى بيروت صباح يوم الثناء من تشرين الاوّل شاكرين للدولى على عنايته الخاصّة بنا في كل مسيرنا

## مطبوعات شرقية جديدة

**Lewis B. Paton: The early History of Syria and Palestine.** *London, G. Routledge,* 1902, in-12, XXXVI-302, with 5 maps

اقدم تاريخ سوريّة وفلسطين

ارسلت الينا مطبعة رتلدج في لندن نسخة من هذا الكتاب الذي ألّفهُ المستر باتون احد معلّمي مدرسة هرتفرد الاكليريكية ليُدرَج في سياق « التآليف السامية » التي يتولّى نشرها المسيو كريغ (J. A. Craig) من اساتذة كلية ميتشيغان ليفيد بها طلبة المدارس وادباء العامّة عن احوال الشرق وتاريخهِ وعمّا طرأ عليهِ من التقلّبات في توالي الاعصار وما نفذ من عمرانهِ في التمدّن الغربي. وتآليف المستر باتون يشمل اقدم اخبار تُعرف لبلاد سوريّة وفلسطين اعني انهُ يبحث عن اصول تاريخ هذه الاقطار الى ايّام قورش وفتح بابل على يد الفرس ٥٣٩ قبل المسيح. وفي صدر الكتاب جداول تاريخية للازمنة التي يدور على محورها الكتاب ثمَّ يليها قائمة للتآليف التي راجعها المؤلف لوضع كتابهِ وتفيد معرفتها الطالع. ثمَّ يبحث الكاتب عن الاحداث التي جرت في سوريّة وفلسطين جيلاً بعد جيل مباشرةً بدولة البابليين ثم دولة الفراعنة ولا سيما السلالتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ثم ظهور الاراميين وطور القضاة في